مقدمة العدد

بقلم : رئيس التحرير

يصدر العدد الرابع من المجلد الرابع للعام الرابع من عمر المجلة المصرية لعلم النفس الإكلينيكي والإرشادي، التي تصدر عن الجمعية المصرية للمعالجين النفسيين، وهو يواكب وقوع حدث جلل بالنسبة للمتخصصين في علم النفس بصفة عامة، وعلم النفس الإكلينيكي بصفة خاصة، ألا وهو رحيل أستاذي وأستاذ أساتذة علم النفس بقسم علم النفس بجامعة القاهرة، صاحب الذكرى العطرة الدكتور مصطفى إسماعيل سويف، أحد أكبر رواد علم النفس في مصر والعالم العربي، رحل سيادته عن عالمنا في العشر الأواخر من شهر رمضان المعظم لعام ١٤٣٧هـ والعشر الأوائل من شهر يوليو – شهر مولده– لعام ٢٠١٦م، وبرحيله فقد علم النفس الإكلينيكي علما من أعلامه، وانطفأت شمس من شموسه كانت تضيء للباحثين وعلماء النفس الطريق عالميا ودوليا وإقليميا ومحليا. رحل راهب العلم وناسك العمل المهني والبحث العلمي. كان أستاذنا يتسم بالهدوء والمثابرة ومواصلة الاتجاه، وتكريس الوقت والجهد والطاقة، والتركيز طويل المدى، ولذلك جاء إنتاجه العلمي غزيرا وعميقا ودقيقا، وكان منهجه فى الإشراف العلمي على تلاميذه– وكاتب هذه السطور كان واحدا منهم– منهجا يمكن تدريسه وليس الاقتداء به فقط. كان أستاذي شديد التأمل عف اللسان، قليل الكلام كثير الفعل، لا تؤثر فيه الإغراءات والاغواءات وكان زاهدا، وكان وطنيا من الطراز الأول مهموما بقضايا وطنه ومشكلاته، وكانت قيم المواطنة والولاء والانتماء بارزة في شخصيته، وكان سيادته شديد الاحتكاك بجميع الاتجاهات العلمية العالمية، لم يذهب أستاذي يوما لإعارة ولا لزيارة بإحدى الدول البترولية، وإنما كان زائرا يبلغ العلم النافع في كل أنحاء العالم المتقدم، كان أحد أبرز أعضاء هيئة الصحة العالمية، وكانت شهادته العلمية بمجلس الشيوخ الأمريكي فيما يتصل بالتأثير السلبي لتعاطي الحشيش على الوظائف المعرفية والتغيير السلبي للشخصية الإنسانية، والأخذ بهذه الشهادة عند وضع قوانين مكافحة المخدرات أكبر دليل على احترام العالم المتقدم لشخصية أستاذنا الجليل. أستاذنا كان نموذجا يحتذي به فى البحث العلمي النفسي الاجتماعي، فقد ظل البرنامج الدائم لبحوث تعاطي المخدرات تحت قيادته قرابة نصف قرن.ولأنه يتسم بتنظيم ذاتي لا يجاريه أحد فيه، فكان حكيما فى تكوين فرق بحثية متعددة يخرج منها من يخرج للإعارة أو لغير الإعارة أو لأي سبب آخر، بينما كان سيادته يقوم بعمليات الإحلال والتجديد بتناغم يصعب وصفه ولا يشعر به أحد، وكان يعتمد على شباب الباحثين في ذلك، بحيث أصبحت فرق البرنامج الدائم البحثية مدرسة علمية بكل معنى الكلمة.

كان مجرد وجوده بيننا بجامعة القاهرة، يمثل ضابطا أخلاقيا رفيع المستوى، ورمزا لخلق الدافعية بكل أشكالها، ونموذجا لحب العلم الحقيقي وأهله، وكان نبراسا يضيء الطريق أمامنا، وكانت نصائحه دليلا يهتدي به من يريد تحصيل العلم النافع والتطبيق العملي والمهني الجاد. أستاذنا ظل يقوم بالبحث العلمي وتقديم الندوات العلمية، والتدريس لطلاب الدراسات العليا حتى أواخر أيام حياته بيننا. وكان سيادته يعتزم تقديم محاضرته السنوية التي أصبحت تقليدا يحتذي به فى ١٧ يوليو ٢٠١٦، ولكن الموت لم يمهله فرحل عن عالمنا قبل هذا اليوم الذي يمثل عيد ميلاده بأيام قليلة.

ولا يخفى على أحد أن أستاذنا الدكتور سويف هو مؤسس قسم علم النفس بجامعة القاهرة وكان مديرا لأكاديمية الفنون في عصرها الذهبي، وكان مستشارا لوزارة الصحة المصرية، وكان أستاذا زائرا لعدد كبير من الجامعات والمعاهد العلمية العالمية بانجلترا وألمانيا وأمريكا، وكان مبدعا ومفكرا وفيلسوفا متعدد الاهتمامات، فقد كان شاعرا وناقدا، وتخصص في دراسات وبحوث الإبداع والشخصية الإنسانية، وعلم النفس الاجتماعي، والسياسي، والثقافي، وبحوث تعاطي المخدرات، ودراسات علم النفس الإكلينيكي، وكان معالجا نفسيا من الطراز الأول. وحصل على كل أنواع الجوائز والأوسمة العلمية من مصر ومن كل أنحاء العالم، وكان يقدم الاستشارات العلمية والمهنية على مستوى الدول والأسر والأفراد. كما وضع تقاليد علمية ومهنية لقسم علم النفس بجامعة القاهرة جعلت سمعته تجوب الآفاق، وكان محصلة ذلك أن هذا القسم لازال نموذجا يحتذي في تطبيق مناهج البحث، والدقة العلمية، والانضباط السلوكي والأخلاقي أثناء الحركة العلمية بالقسم وعزاؤنا أنه ترك مدرسة علمية جادة وقوية ورصينة تتكامل مع المدارس العلمية العالمية ولا تتنافر معها، وأتمنى أن يكون المنتسبون إليها خير خلف لخير سلف، وأن يظلوا على العهد. وفي النهاية لا بد أن أشير الى أنني لم أقصد نشر ترجمة لسيرته الذاتية لأنني لم أقترب منها لا من قريب ولا من بعيد، ولكنني قصدت بكلماتي هذه تذكرة جمهور العلماء والباحثين والطلاب ومصر والعالم العربي كله برحيل هذا العالم الراهب الزاهد الناسك الذي قضى حياته في محراب العلم. أما إسهاماته وسيرته الذاتية العطرة فتحتاج أن نفرد لها عددا كاملا، وربما يضيق هذا العدد عن استيعاب تفاصيل هذه السيرة الذاتية.

إن بكائي الدفين ورعبي الشديد من قبض أرواح العلماء من أمثال أستاذنا الجليل ومن أمثال أحمد زويل ومحمد عثمان نجاتي ويوسف مراد وزكي نجيب محمود وسمية فهمي ورمزية الغريب ومصطفى زيور وفؤاد أبو حطب ومحمد عزت راجح، وغيرهم ممن لا تحصيهم ذاكرتي، يتمثل في أن العلم ذاته يقبض ويرفع من الأرض بقبض أرواح هؤلاء العلماء الأجلاء. رحم الله أستاذنا الجليل

الدكتور مصطفى اسماعيل سويف وغفر له ولوالدينا وأسكنه فسيح جنانه إنه ولي ذلك والقادر عليه وجعلنا خير خلف لخير سلف.

أما بالنسبة للبحوث التي يضمها هذا العدد – أكتوبر ٢٠١٦- فهي بحوث لباحثين من الشيوخ وشباب الباحثين. وجاء البحث الأول في هذا العدد ليعرض لقضية من أخطر القضايا النفسية الاجتماعية في عالمنا العربي، ألا وهي قضية المواطنة في علاقتها بالولاء الوطني والثقة بالنفس لدى طلاب الجامعة الكويتيين من الجنسين. وقد يتساءل قارئ قائلا، وما علاقة بحث يقع ضمن تخصص الشخصية وعلم النفس الاجتماعي بمجلة تنشر بحوثا في علم النفس الإكلينيكي والإرشادي والصحة النفسية ؟ فنقول له بإيجاز نشرنا هذا البحث لملاءمته لإحدى السمات البارزة في شخصية أستاذنا المرحوم الدكتور سويف، كما أن علم النفس الإكلينيكي، كما يعلم القاصي والداني من المتخصصين فيه، علم تطبيقي يمكنه الاستفادة من كل العلوم الأساسية، كذلك فإن مؤلف هذا البحث، كان ولا زال يرى نفسه واحدا من تلاميذ مصطفى سويف، ولقد تشرفت بصحبته مرات عديدة لزيارة أستاذنا المرحوم الدكتور سويف لمناقشته في كثير من قضايا بحوث تعاطي المخدرات والوقاية منها، ألا وهو الصديق العزيز أ.د.عويد سلطان المشعان، الذي زاملته بقسم علم النفس بجامعة الكويت ثماني سنوات.عموما انتهت نتائج هذا البحث الى أن المواطنة وما يرتبط من متغيرات كانت أعلى جوهريا لدى الذكور الكويتيين بالمقارنة بالإناث، ولكن لم تختلف قيم المواطنة باختلاف المحافظات وموطن النشأة.

أما البحث الثاني فجاء بعنوان الكفاءة الاجتماعية في علاقتها بمختلف أنواع السلوك العدواني لدى عينة من الأطفال ذوي طيف التوحد (أو الذاتوية)، أجراه باحث شاب وواعد ومتحمس ونشيط علميا ومهنيا هو الدكتور أحمد عمرو الذي يعمل عضو هيئة تدريس بجامعة الدمام بالسعودية . وهو بحث تناول قضية من أخطر القضايا والمشكلات التي يعاني منها أطفال طيف التوحد، وهي مشكلة ضعف الكفاءة الاجتماعية بما تضمه من مهارات اجتماعيه لديهم، ليميط اللثام عن المتغيرات التي ترتبط بها ارتباط التلازم في التغير أو ارتباط السبب بالنتيجة، وأمكنه التوصل الى بعض النتائج غير المسبوقة في هذا المجال، أهمها : أنه قد أمكنه التنبؤ من مهارات التحكم في الذات لدى حالات التوحد والسيطرة عليها بحدوث السلوك العدواني، وأنه كلما ضعفت الكفاءة الاجتماعية ازداد السلوك العدواني لديهم.

وتمثل هدف البحث الثالث، الذي أجرته السيدة الدكتورة نهاد عبد الوهاب محمود، في فحص استجابات المواجهة كمتغير معدل للعلاقة بين إدراك الاساءة في الطفولة وأعراض الصدمة لدى

المراهقات الجانحات وغير الجانحات.وانتهت النتائج الى وجود فروق جوهرية بين الجانحات وغير الجانحات في أبعاد وإدراك الاساءة فى الطفولة، وأعراض الصدمة فى اتجاه الجانحات، بينما كانت الفروق في استجابة المواجهة الإقدامية في اتجاه غير الجانحات، مع وجود علاقات ارتباطية موجبة وجوهرية بين إدراك الإساءة في الطفولة وكل من أعراض الصدمة وإستجابة المواجهة التجنبية. كما انتهت الى وجود دور معدل لإستجابات المواجهة الإقدامية والتجنبية في العلاقة بين إدراك الإساءة الجنسية وأعراض الصدمة. وننتهز هذه الفرصة لتهنئة د. نهاد بترقيتها الى درجة الأستاذ مساعد بقسم علم النفس بجامعة حلوان.

وجاء البحث الرابع الذى أجرته السيدة الدكتورة أميرة فايق أمين، المتخصصة في علم النفس الصحي المهني العيادي وقضايا المشكلات النفسية الاجتماعية الأسرية، لفحص ظاهرة الاحتراق النفسي فى ضوء بعض المتغيرات الديموجرافية لدى عينة من الموظفيين الإداريين بالمحاكم المصرية من الجنسين.وانتهت أهم نتائجه الى وجود فروق جوهرية في بعدين من أبعاد الاحتراق النفسي فقط تعزى للنوع، كما يزداد الاحتراق النفسي المعرفي والفسيولوجي لدى الإناث أكثر من الذكور، ويزداد الاحتراق النفسي المعرفي لدى الموظفين صغار السن بالمقارنة بكبار السن، كذلك تبين وجود فروق تعزى للموظفات الأقل خبرة، حيث كن أشد احتراقا معرفيا من الموظفات الأكثر خبرة.

كانت هذه جولة بين بحوث هذا العدد الذي أهديناه لعالمنا الجليل أ.د. مصطفى سويف يرجو أن يفيد منه الباحث المتخصص والقارئ المثقف على حد سواء، والله من وراء القصد

أ.د. محمد نجيب أحمد الصبوة

أستاذ علم النفس الإكلينيكي بجامعة القاهرة